مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

اللين مع مخالف الدين

قراءة في الكتب المقدسة اليهودية – المسيحية – الإسلامية

(الحلم والمسامحة) أنموذجا

د. جمال الحسيني أبوفرحة

أستاذ علم الكلام والمذاهب والأديان المساعد

قسم الفلسفة. كلية الآداب. جامعة السويس

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول كانت:[1]"إن حالة السلام بين أناس يعيشون جنبا إلى جنب ليست حالة فطرية: إذ إن الحالة الفطرية أدنى إلى أن تكون حالة حرب، وهي وإن لم تكن دائما حربا معلنة إلا أنها على الأقل منطوية على تهديد دائم بالعدوان".

وعليه ينفق العالم المليارات لتأمين السلام بالقوة، والاستعداد للحروب المحتملة، إلا أنه لاينفق شيئا معتبرا، ولا يبذل جهدا كافيا لتأمين السلام بتعزيز ثقافة التعايش.

ورغم أن دعاة الكراهية في العالم قليلون إلا أنهم مؤثرون بفضل الغالبية الصامتة! إن الصمت هو العدو الأكبر للتعايش والعون الصارخ للشر. فلا يجدر بنا أن نشكو من وجود المتشددين الذين يثيرون العداوة بين أتباع الأديان الأخرى عبر الزمان والمكان، بل علينا أن نخجل من صمتنا الذي يفسح لهم المجال لتوسيع وتعميق دائرة الشر. لقد آن الأوان لنغادر الجماعات الخاملة والأكثرية الصامتة، وألا ننتظر أن يتحرك غيرنا. فإن لم تقم النخبة بواجبها تجاه تعزيز ثقافة التعايش فمن يقوم به؟!

وإسهاما منا في ذلك، وبحكم تخصصنا في دراسة الأديان، كان وقوفنا أمام التأصيل الديني للعلاقة بين المؤمنين والكفار في الأديان الإبراهيمية الثلاثة، فجاءت دراستنا هذه – كحلقة في سلسلة دراسات لنا حول هذا الموضوع– لتسلط الأضواء على النصوص المقدسة المتعلقة باللين مع مخالف الدين محاولة منا للوقوف على حقيقة دعوة الأديان الإبراهيمية الثلاثة إلى التعايش المثمر البناء مع مخالف الدين، هل تدعمه أم تنقضه؟!

وبقدر التوازن النفسي الذي تطرحه نصوص الأديان المقدسة وما ينبثق عنه من مشاعر إنسانية وأخلاق حميدة تسعى لتتجسد عمليا في مجموعة من الممارسات العملية تتمايز الأديان: فيتضح باطلها من صحيحها، ومكتملها من ناقصها؛ ومن ثمة تتجلى أهمية دراستنا هذه.

---

(١) كانت، مشروع للسلام الدائم، ص٣٩.. وكتطبيق عملي لكلام كانت نجد أن عامة الدول تنشر قواتا عسكرية على حدودها أمام جيرانها وهو ما يعكس شعورا بالتهديد من الآخر أو رغبة في تهديده!.

فإن تشابهت أديان في دعم هذا السلوك الأخلاقي تجاه الآخر، فلا شك أن لفت الانتباه إلى بعض وجوه الالتقاء بين هذه الأديان يستثير رغبة المؤمنين بها في التوافق والاتفاق في مواطن النزاع، وكل ذلك يدعم الحق ويرسخ التعايش، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.

وإن لم توجد نصوص في دين ما تحث على اللين مع مخالف الدين، أو لم تدل النصوص صراحة على ذلك، أو دلت على عكس ذلك؛ فإن إظهار اللين لأصحاب هذا الدين يعمل على تخفيف حدة مشاعر التوتر والخوف والغضب لديهم وما ينبني على ذلك من حيل دفاعية ومواقف عدوانية، ويخلق جوا ملائما لتغيير السلوك وتعديله؛ فبدرجة أو بأخرى يتم رفض النصوص العدائية، أو تأويلها لصالح اللين مع مخالف الدين. وكل ذلك يدعم الحق ويرسخ التعايش، وهو ما تصبو إليه دراستنا هذه.

ولا شك أن "اللين مع مخالف الدين" يؤسس لركيزتين من ركائز التعايش، هما العدل والإحسان؛ فاللين مع من يعاملنا باللين عدل، واللين مع من لا يعاملنا باللين إحسان.

مدخل إلى الدراسة:

١. **حدود الدراسة.**
٢. **أسئلة الدراسة.**
٣. **أهداف الدراسة.**
٤. **منهج الدراسة وضوابطها.**
٥. **مصطلحات الدراسة.**
٦. **الدراسات السابقة.**
٧. **تقسيم الدراسة.**

أولا: حدود الدراسة:

نظرا لكثرة مظاهر اللين ستقتصر دراستنا هذه على دراسة مظهرين من مظاهره هما: (الحلم والمسامحة).

وقد آثرنا تخصيص دراستنا هذه بـ "مخالف الدين" لما يلي:

- **سعة الموضوع.**
- **إن اللين مع مخالف الدين موضع خلاف ونزاع عند أصحاب الأديان محل الدراسة.**
- **إن مخالف الدين – في الأعم والأغلب عبر التاريخ– كان معاديا بدرجة أو بأخرى؛ ومن ثمة فتحقق اللين معه لا شك يعني تحققه نحو من هو أولى بذلك منه: من موافق في الاعتقاد، ومحب، وحليف...الخ.**

ثانيا: أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على التساؤل التالي:

ما موقف النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة: (اليهودية، المسيحية، الإسلام) من اللين مع مخالف الدين؟.

ثالثا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- **تقليل حدة الخلاف بسد فجوة الزائف من الاختلاف بين أصحاب الأديان محل الدراسة.**
- **ترسيخ التعايش المثمر البنّاء بين المؤمنين بأي من النصوص المقدسة موضع الدراسة وغيرهم.**
- **الإسهام في تقديم ميزان عملي يمكن أن تقاس به صحة الأديان واكتمالها؛ وذلك أن الدعوة الأخلاقية للأديان - بحسب قراءتنا للنصوص- هي هدفها الأسمى(٢) وتعد دليلا عمليا على صحة الدين إن صحت وعلى اكتماله إن كملت. إلا أن هذا الميزان لا يتجلى إلا بدراسة موسعة مقارنة للأخلاق في الأديان المختلفة ولعل دراستنا هذه تكون لبنة لتلك الدراسة المهمة.**

رابعا: منهج الدراسة وضوابطها:

---

(٢) وهو ما تشهد له نصوص مقدسة في الأديان الثلاثة موضع الدراسة:

يقول العهد القديم: "فِعْلُ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ أَفْضَلُ عِنْدَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبِيحَةِ". سفر الأمثال: ٢١: ٣. ويقول على لسان الرب: "لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ. ... حِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ، وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا". إشعياء ١: ١٣- ١٥. وانظر ٥٨: ١- ٩.

ويقول العهد الجديد على لسان المسيح ﷺ: "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً". إنجيل متى: ٩: ١٣. بل وتجعل المسيحية من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله: فيقول العهد الجديد على لسان المسيح ﷺ: "فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ* فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ". إنجيل متى٥: ٢٣- ٢٤.

ويقول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه: أحمد، ومالك، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة. وعند بعضهم: "لأتمم صالح الأخلاق". وكذلك يجعل الإسلام من الالتزام الخلقي مع الناس الخطوة الأولى في الطريق نحو الله؛ فيقول النبي ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ". رواه أبو داود في سننه في باب في شكر المعروف من كتاب الأدب برقم ٤١٧٩، بل ويجعله الخطوة الأعظم؛ فيقول النبي ﷺ:"أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ". رواه البخاري في الأدب المفرد، في بَاب الرِّفْقِ برقم ٤٦٠، ويقول النبي ﷺ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا". رواه البخاري في صحيحه في باب حسن الخلق من كتاب الأدب برقم ٥٦٠٢، ويقول النبي ﷺ: "الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ". رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ١٠٦٣٣.

ومنهجنا في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي النقدي المقارِن للنصوص المتعلقة بموضوع البحث.

وفي دراستنا هذه آثرت الترتيب الزمني في العرض بقدر الإمكان فابتدأت بالنصوص اليهودية ثم أتبعتها بالمسيحة ثم أعقبتها بالنصوص الإسلامية؛ وإن لم ألتزم بالترتيب الزمني في عرض النصوص داخل كل دين؛ ففي حديثي عن اليهودية قدمت النصوص التلمودية على نصوص العهد القديم؛ مراعاة لوصل الحديث عن العهدين القديم والجديد؛ حتى يتضح موقف النصارى الذين يؤمنون بالعهدين. ولم أفصل في حديثي بين القرآن والسنة فصلا كاملا فتحدثت عنهما تحت عنوان موحد هو قراءة في النصوص الإسلامية لتداخل الحديث في كثير من الأحيان وصعوبة الفصل بينهما. والأصل الذي اعتمدناه في ترتيب نصوص القرآن والسنة – ما لم يدع داع إلى خلاف ذلك– هو تقديم السنة على القرآن انطلاقا من إيماننا بأولوية ترتيب الأدلة تصاعديا من الأضعف إلى الأقوى(٣).

وقد ترخصنا فيما يشفع لـ "اللين مع مخالف الدين"؛ فلم نر بأسا من الاستشهاد بالضعيف من الأحاديث النبوية؛ أما ما لا يشفع لـ "اللين مع مخالف الدين"، فاشترطنا فيه الصحة التامة؛ وذلك من منطلق إيماننا بأن الحث على "اللين مع مخالف الدين" هو من فضائل الأعمال، وعامة العلماء يجوزون الأخذ بالضعيف في الحث على فضائل الأعمال، بل دون بيان لضعفه(٤)؛ أما النهي عن "اللين مع مخالف الدين" فهو من أحكام المعاملات، وأحكام المعاملات لا يقبل فيها إلا الصحيح، إلا إن كان الضعيف غير معارض

---

(٣) راجع لمزيد من التفصيلات حول ترتيب الأدلة كتابنا: الحوار مع الآخر، خطأ ترتيب الأدلة من الأقوى للأضعف، ص ١٨٦: ١٨٨.

(٤) قال ابن الصلاح: "يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها. وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد. وممن روينا عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما". ابن الصلاح، علوم الحديث، ص١٠٣.

بنص صحيح صريح، وكان الموضع موضع احتياط، وكان مندرجا تحت أصل معمول به في الشريعة[٥].

وقد كان اعتمادنا على نصوص الكتاب المقدس في الطبعة المنشورة على الموقع الإلكتروني لكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت التابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية[٦] ما لم ننص على خلاف ذلك.

وعند الاقتباس من مراجع الدراسة ومصادرها حرصت على الإشارة إلى ما يُسهِّل رجوع القارئ إلى موضع النص المقتبس مهما اختلفت الطبعات؛ فكان حرصي على ذكر الباب، والفصل...الخ، أكثر من حرصي على ذكر ما يتغير بتغير الطبعات.

خامسا: مصطلحات الدراسة:

١.اللين: صفة جامعة: للحلم، والمسامحة، والوداعة، والمسالمة، والرفق، واللطف، والتواضع، وشبيه ذلك من صفات[٧]. وستقتصر دراستنا هذه على (الحلم والمسامحة) كما سبق بيانه.

١. مخالف الدين: ونقصد به كل من خالف غيره في ركن من أركان إيمانه.

٢. الكتب المقدسة اليهودية، وهي: (التلمود، والتناخ).

والتلمود: كلمة عبرية معناها التعلم[٨]، وينقسم إلى قسمين: الأول: المشنا: وهي مجموعة الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال من عهد موسى ﷺ حتى عهد يهودا هنَّاسي (١٣٢- ٢١٧م) الذي قام بتنسيقها وتسجيلها. والثاني: الغمارا: وهي تعليقات وشروح الحاخامات على المشنا، ومن العلماء من يطلق

---

(٥) فإنه إن كان صحيحا في نفس الأمر، فقد أعطي حقه من العمل، وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم، لأن العمل به هو عمل بالأصل العام. ولمزيد من التفصيلات انظر كتاب: العزامي: خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع، وكتاب: محمد زكي إبراهيم: وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام وأقوال كبار أئمة السلف والخلف فيه.

(٦) http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

(٧) "إن المصطلحات المتداولة المتأثرة بلا شك باللغة اللاتينية المستعملة قديما في الكنيسة لا تميز بين الرحمة والرأفة والصفح". اليسوعي: معجم اللاهوت الكتابي، ص ٣٧٤. ويبقى الفيصل في السياق الذي يفرق بين هذه المعاني.

(٨) انظر: قوجمان: قاموس عبري عربي، ص١٠١٤.

كلمة التلمود على الغمارا فقط، ولا يعرف من دون المشنا للمرة الأولى، وحوالي عام ٢٠٠م قام الحاخام يهودا هنَّاسي[٩] بجمع كثير من المشناوات في مجموعة واحدة متناسقة، وكثيرا ما أغفل اسم كاتبيها. وللتلمود نسختان: البابلي، والأورشليمي؛ وبينهما كثير من الاختلافات. والمشنا في كلا التلمودين واحدة والخلاف بينهما منحصر في نص الجمارا، ويعد التلمود البابلي هو الأكثر شيوعا بين اليهود، ويقدر حجمه بما يقارب ثلاثة أضعاف التلمود الأورشليمي، ويحتل التلمود المقام الثاني بعد العهد القديم عند عامة اليهود، ومنهم من يرفضه كالسامرة والصدوقيين والقرائين[١٠].

والتناخ: يقصد به: كل من: أسفار التوراة، وأسفار الأنبياء[١١]، وأسفار الحكمة أو الكتابات؛ وكلمة تناخ كلمة مكونة من الحرف الأول من كل من كلمة: (توراة – نفيئيم – ختوفيم) باللغة العبرية بمعنى: (التوراة – الأنبياء – الكتابات). وقد ترددت فرق اليهود في الإيمان ببعض أسفار التناخ أو (العهد القديم كما يسميه النصارى) أو ببعض أجزائها من عصر إلى آخر.

٥– الكتب المقدسة المسيحية: وهي: (العهد القديم، والعهد الجديد).

العهد القديم: لعل بولس الرسول[١٢] هو أول من أطلق هذه التسمية على الأسفار المقدسة التي يسميها اليهود بالتناخ[١٣]، وتابعه النصارى في ذلك الإطلاق ليشيروا بذلك إلى أن هناك عهدا آخر جديدا يتكون من الأسفار المسيحية المقدسة لديهم. وبالطبع يرفض اليهود هذه التسمية لأن موافقتهم تعني إيمانهم بعهد جديد جاء بعد عهدهم. وقد

---

(٩) ويُعد يهودا هنَّاسي آخر التنائيم – رواة المشنا– وأول الأمورائيم –علماء الجمارا– انظر: متن التلمود، المشنا الأولى، ص١٩ من التمهيد، بقلم: د. مصطفى عبد المعبود.

(١٠) انظر: السابق، ص ص١٩: ٢٣ من التمهيد. وانظر: التلمود البابلي، ص ص٤: ١٤ من المقدمة، بقلم: نبيل فياض.

(١١) وتنقسم أسفار الأنبياء إلى ثلاث مجموعات: الأسفار التاريخية، وأسفار الأنبياء الكبار، وأسفار الأنبياء الصغار.

(١٢) بولس الرسول: ويعرف أيضًا ببولس الطرسوسي أو القديس بولس (أحيانًا يُكتب اسمه بالعربية بحرف الصاد بولص)، هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، وينظر إليه على أنه أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد المسيح عليه السلام، وينسب إليه ١٤ سفرا من أسفار العهد الجديد الـ ٢٧.

(١٣) انظر: رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ٣: ١٤.

ترددت فرق النصارى في الإيمان ببعض أسفار العهد القديم وببعض أجزائها من عصر إلى آخر، وقد كان اختيارنا للاسم النصراني لهذه الأسفار لاشتهارها به أكثر من اشتهار الاسم اليهودي(١٤).

والعهد الجديد: هو ما يؤمن به النصارى وحدهم؛ ويتكون من سبعة وعشرين سفرا، وهو عبارة عن: أربعة أناجيل (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وسفر أعمال الرسل، ومجموعة رسائل بولس الرسول وعددها أربع عشرة رسالة، ومجموعة الرسائل الجامعة وعددها سبع رسائل، وأخيرا رؤيا يوحنا اللاهوتي.

٦- الكتب المقدسة الإسلامية: وهي: (القرآن، والسنة).

والقرآن لغة: مصدر، بمعنى القراءة، وفي اصطلاح علماء الإسلام: هو كلام الله المعجز، المنزل على رسوله ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بين دفتي المصحف تواترا من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس(١٥).

والسنة في اللغة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أم سيئة(١٦) والتعريف الإجرائي المختار لها في بحثنا هذا هو التعريف الاصطلاحي لها عند علماء أصول الفقه، وهو أنها: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير(١٧)، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي.

سادسا: الدراسات السابقة:

تُعد هذه الدراسة - بحسب بحثي واستقصائي- الأولى في اللغة العربية بل والإنجليزية في موضوعها.

سابعا: تقسيم الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في مقدمة، ومدخل، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.

---

(١٤) وذلك لأن المسيحية ديانة دعوية بعكس اليهودية.

(١٥) انظر: الشوكاني: إرشاد الفحول، ١/ ١١٩: ١٢٠. وانظر: علي حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، ص١٧.

(١٦) راجع: ابن منظور: لسان العرب مادة (سنن).

(١٧) انظر: الشوكاني: السابق، ١/ ١٣١: ١٣٢.

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الدراسة.

وأما مدخل الدراسة: فبينت فيه حدود الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، ومنهجها، وضوابطها، ومصطلحاتها، والدراسات السابقة لها، وتقسيمها.

وأما المبحث الأول فقد عرضت فيه قراءتي للنصوص المقدسة موضع الدراسة من الحلم مع مخالف الدين.

وأما المبحث الثاني فقد عرضت فيه قراءتي للنصوص المقدسة موضع الدراسة من المسامحة مع مخالف الدين.

وفي الخاتمة عرضت ملخصا للدراسة، ثم حللت نتائجها.

وفي نهاية الدراسة عرضت فهرسا للمصادر والمراجع ثم فهرسا للمحتويات.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت

وأن ينفعني بهذا العمل في آخرتي ودنياي، وينفع به.

د/ جمال الحسيني أبوفرحة

GAMALABUFARHA68@YAHOO.COM

المبحث الأول

الحلم مع مخالف الدين

قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية والمسيحية والإسلامية

موقف التلمود:

يحث التلمود على الحلم؛ فيقول:[١٨]"تأنوا[١٩]في الحكم". ويقول: [٢٠]"لا تكن سريع الغضب".

ويغري التلمود بالحلم؛ فيطرح تساؤلا حول: "من هو الشديد؟ [ثم يجيب قائلا:] من يكبح غريزته؛ حيث ورد البطيئ الغضب خير من المحارب العاتي، والضابط أهواء روحه خير من قاهر المدن"[٢١]. ويجعل الحلم من صفات المعلم والورِع وتلاميذ أبينا إبراهيم عليه السلام فيقول:[٢٢]"ليس...الغضوب بمعلم". ويقول:[٢٣]"صعب الغضب ..... ورِع". ويقول:[٢٤]"الكرم والحلم والتواضع، من يتحل بهذه الصفات فهو من تلاميذ أبينا إبراهيم".

موقف العهد القديم:

ينهى العهد القديم عن الغضب؛ فيقول:[٢٥]"كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ".

ولما كان تجاوز الحلم يبدأ عمليا باللسان؛ قال:[٢٦]"لا تأت شيئا من أمور الشتم".

وينفر العهد القديم من الغضب فيصف الغضب بالرجس، ويصف الغاضب بالخاطئ، وبالجاهل، وبالأحمق، ثم يرسم صورة منفرة للغاضب فيصفه بأنه مدينة منهدمة بلا سور؛ يقول العهد القديم:[٢٧]"الْحِقْدُ وَالْغَضَبُ كِلاَهُمَا رِجْسٌ، وَالرَّجُلُ الْخَاطِئُ مُتَمَسِّكٌ بِهِمَا".

---

(١٨) المشنا الرابعة، المبحث التاسع، آفوت أو الآباء، الفصل الأول، الفقرة (أ) ص ٢٧٣.
(١٩) والحلم يقتضي التأني.
(٢٠) السابق، الفصل الأول، الفقرة (ي) ص ٢٧٨.
(٢١) السابق، الفصل الرابع، الفقرة (أ) ص ٢٨٥.
(٢٢) السابق، الفصل الثاني، الفقرة (هـ) ص ٢٧٧.
(٢٣) السابق، الفصل الخامس، الفقرة (ك)، ص٢٩٢.
(٢٤) السابق، الفصل الخامس، الفقرة (ق)، ص٢٩٣.
(٢٥) المزمور: ٣٧: ٨
(٢٦) سفر يشوع بن سيراخ ١٠: ٦. . وانظر ٢١: ٥.
(٢٧) السابق ٢٧: ٣٣.

ويقول:[٢٨]"لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ، لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ". ويقول:[٢٩]"اَلسَّرِيعُ الْغَضَبِ يَعْمَلُ بِالْحَمَقِ". ويقول:[٣٠]"قَصِيرُ الرُّوحِ مُعَلِّي الْحَمَقِ". ويقول:[٣١]"مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ بِلاَ سُورٍ، الرَّجُلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى رُوحِهِ".

ويغري بالحلم، فيمتدح الحليم؛ فيقول:[٣٢]"اَلْبَطِيءُ الْغَضَبِ خَيْرٌ مِنَ الْجَبَّارِ، وَمَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً".

ويغري بثمار الحلم؛ فيقول:[٣٣]"اَللِّسَانُ اللَّيِّنُ يَكْسِرُ الْعَظْمَ". ويقول:[٣٤]"اَلرَّجُلُ الْغَضُوبُ يُهَيِّجُ الْخُصُومَةَ، وَبَطِيءُ الْغَضَبِ يُسَكِّنُ الْخِصَامَ". ويقول:[٣٥]"بَطِيءُ الْغَضَبِ كَثِيرُ الْفَهْمِ".

ويرسم الطريق إلى الحلم؛ بالتعقل ولين الكلام؛ فيقول:[٣٦]"تَعَقُّلُ الإِنْسَانِ يُبْطِئُ غَضَبَهُ". ويقول:[٣٧]"اَلْجَوَابُ اللَّيِّنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ، وَالْكَلاَمُ الْمُوجِعُ يُهَيِّجُ السَّخَطَ".

ويرسم القدوة في الحلم مرة بموسى عليه السلام؛ فيقول:[٣٨]"وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ". ومرة بالرب تعالى؛ فيقول:[٣٩]"اَلرَّبُّ .... طَوِيلُ الرُّوحِ". ويقول:[٤٠]"وَأَنْتَ يَا إِلهَنَا .... طَوِيلُ الأَنَاةِ". ويقول:[٤١]"أَيُّهَا السُّلْطَانُ الْقَدِيرُ، ....*....جَعَلْتَ لِبَنِيكَ رَجَاءً حَسَناً، لأَنَّكَ تَمْنَحُهُمْ فِي خَطَايَاهُمْ مُهْلَةً لِلتَّوْبَةِ". ويقول:[٤٢]"فَعَلَّمْتَ شَعْبَكَ بِأَعْمَالِكَ هذِهِ، .....، لِكَيْ نَتَذَكَّرَ حِلْمَكَ إِذَا حَكَمْنَا". ويقول على لسان الرب:[٤٣]"مِنْ أَجْلِ اسْمِي أُبَطِّئُ غَضَبِي".

---

(٢٨) سفر الجامعة ٧: ٨- ٩.
(٢٩) سفر الأمثال ١٤: ١٧.
(٣٠) السابق ١٤: ٢٩.
(٣١) السابق: ٢٥: ٢٨.
(٣٢) السابق ١٦: ٣٢.
(٣٣) السابق ٢٥: ١٥.
(٣٤) السابق ١٥: ١٨.
(٣٥) السابق ١٤: ٢٩.
(٣٦) السابق ١٩: ١١.
(٣٧) السابق ١٥: ١. وانظر ٢٩: ٢٢.
(٣٨) سفر العدد ١٢:٣.
(٣٩) السابق: ١٤: ١٨ وانظر: سفر نحميا ٩: ١٧؛ المزمور ٨٦: ١٥؛ ١٠٣: ٨؛ ١٤٥: ٨
(٤٠) سفر الحكمة ١٥: ١.
(٤١) السابق ١٢: ١٨- ١٩.
(٤٢) السابق ١٢: ١٩- ٢٢.
(٤٣) سفر أشعياء ٤٨: ٩.

موقف العهد الجديد:

ينهى العهد الجديد عن الغضب؛ فيقول:(٤٤)"اطْرَحُوا عَنْكُمْ ..... الْغَضَبَ".

ويقول:(٤٥)"لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ". ويقول:(٤٦)"لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ ..... مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ".

وينفر العهد الجديد من الغضب؛ فيقول: إن "غضب الإنسان لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ"(٤٧). ويراه قتلا قلبيا؛ فيقول:(٤٨)"سمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تقتل! ومن قتل يستحق المحاكمة* أما أنا فأقول لكم: كل من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة".

ويحث على الحلم؛ فيقول:(٤٩)"تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ"، ويقول:(٥٠)"لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ". ويقول: (٥١)"كُونُوا .... حُلَمَاءَ، مُظْهِرِينَ كُلَّ وَدَاعَةٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ". ويقول:(٥٢)"إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ". وكلمة الناس عامة تشمل المؤمن وغير المؤمن.

ويغري العهد الجديد بالحلم فيصف الحليم بالعاقل، يقول العهد الجديد: "فَإِنَّكُمْ بِسُرُورٍ تَحْتَمِلُونَ الأَغْبِيَاءَ، إِذْ أَنْتُمْ عُقَلاَءُ!". والعهد الجديد هنا يجعل العاقل مسرورا بحلمه، لا يجد مقاومة للغضب. أما العوام الذين لم يصلوا بعد إلى مرتبة السرور في تحمل الأغبياء فيقدر العهد الجديد شعورهم الطبعي هذا، ويقدم لهم وصفة تخفف من غلواء غضبهم فيقول:(٥٣)"اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ وَلاَ تُعْطُوا إِبْلِيسَ مَكَانًا". ومعنى النص السابق أنه إذا كان الغضب لا محالة واقع فليقتصر على كونه شعورا داخليا

---

(٤٤) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ٨

(٤٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٣١.

(٤٦) رسالة يعقوب ١: ١٩.

(٤٧) السابق ١: ٢٠.

(٤٨) إنجيل متى ٥: ٢١- ٢٢ من ترجمة كتاب الحياة.

(٤٩) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥:١٤.

(٥٠) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل فيلبي ٤:٥.

(٥١) رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٣: ٢.

(٥٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٨. وانظر رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤: ١١.

(٥٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٢٦- ٢٧.

غير منفث عنه بخطأ في القول أو الفعل. وعلى الغاضب ألا يتمادى في هذا الشعور؛ تكفيه ساعة أو ساعات يجاهد فيها شعوره بالغضب، وعليه ألا يدع الشمس ترحل وهو في حالة غيظ. ففي الليل عندما ينفرد المرء بنفسه، ويرخي العنان لأفكاره، يغتنم الشيطان الفرصة ويهيج نيران الغضب من جديد؛ فعلى الغاضب أن يجاهد حتى يستقبل الليل مسالما متسامحا مع كل إنسان وألا يعطي لإبليس مكانا.

ويغري العهد الجديد بثمار الحلم فيصف الحليم بالرابح لنفسه؛ فيقول:(٥٤)"باحتمالكم تربحون أنفسكم".

ويؤكد العهد الجديد على أن المحبة والتي هي جوهر الإيمان المسيحي ملازمة للحلم فيقول:(٥٥)"الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى ..... وَلاَ تَحْتَدُّ، ..... وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، ..... وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا"(٥٦). وإذا كانت المحبة المستوجبة للحلم لا تسقط أبدا؛ فهي لا تسقط مهما كان دين الآخر، والحلم الناشئ عنها كذلك لا يسقط أبدا مهما كان دين الآخر.

ويرسم العهد الجديد القدوة في الحلم مع مخالف الدين بالمسيح ﷺ لحظة القبض عليه حين دعاه حلمه لرد أذن عبد رئيس الكهنة التي قطعها بطرس، يقول إنجيل لوقا:(٥٧)"فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ، قَالُوا: يَا رَبُّ، أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ؟

*** وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى.**

*** فَأَجَابَ يَسُوعُ وقَالَ: دَعُوا إِلَى هذَا!(٥٨) وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا".**

إلا أنا نجد في العهد الجديد نصوصا تسير في ظاهرها في وجهة معاكسة للحلم، فنجد المسيح ﷺ يصف اليهود مرة بالجهَّال والعميان فيقول:(٥٩)"أيها الجهال والعميان".

---

(٥٤) إنجيل لوقا ١٩:٢١.

(٥٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣: ٤- ٨

(٥٦) والنصوص المسيحية الحاثة على اللين غاية في الكثرة، والمقام لا يتسع إلا للتمثيل، ولمزيد من الأمثلة انظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ١-٢، ورسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٢-١٣، ورسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥: ٢٢- ٢٣ .. ٦: ١. ورسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١١. ورسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ٢٤-٢٦. ورسالة يعقوب ٣: ١٣. ورسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٥. ورسالة بطرس الرسول الثانية ١: ٥-٧.

(٥٧) إنجيل لوقا ٢٢: ٤٩- ٥١.

(٥٨) وعبارة "دعوا إلى هذا" في ترجمة كتاب الحياة: "قفوا عند هذا الحد".

(٥٩) إنجيل متى ٢٣: ١٧- ١٩.

ومرة بأولاد الأفاعي؛ فيقول:(٦٠)"يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي". ومرة بالحيات أولاد الأفاعي؛ فيقول:(٦١)"أيها الحيات أولاد الأفاعي".

وليس الأمر على ظاهره في رأيي؛ فالسب يكون ضد العدل عندما يكون اعتداء، ويكون ضد الحلم عندما يصدر دون روية وتعقل للعواقب. ويكون موافقا للعدل والحلم عندما يهدف للقصاص أو الزجر ويصدر بعد روية وتفكر في العواقب؛ فلا يترتب عليه منكر أعظم من المنكر المراد تغييره(٦٢).

<u>موقف الإسلام:</u>

ينفر الإسلام من تجاوز الحلم فيقول ﷺ:(٦٣)"ليس المؤمن بالطَّعَّان، ولا باللعَّان(٦٤)، ولا الفاحش، ولا البذيء". فتجاوز الحلم يبدأ أول ما يبدأ بالشتم ثم يعقبه استخدام القوة.

والغضب من المنظور الإسلامي جماع الشر، فعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ"(٦٥).

والحلم في المنظور الإسلامي جماع الخير؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: علمني شيئا ولا تكثر عليّ لعلي أعيه. قال: لا تغضب. فردد ذلك مرارا، كل

---

(٦٠) السابق ٣: ٧؛ ١٢: ٣٤. وإنجيل لوقا ٣: ٧.

(٦١) إنجيل متى ٢٣: ٣٣.

(٦٢) يقول سفر الأمثال في (١٥: ٣٢):"مَنْ يَرْفُضُ التَّأْدِيبَ يُرْذِلُ نَفْسَهُ، وَمَنْ يَسْمَعُ لِلتَّوْبِيخِ يَقْتَنِي فَهْمًا". ويقول في (٦: ٢٣): "تَوْبِيخَاتِ الأَدَبِ طَرِيقُ الْحَيَاةِ". ويقول في (١٥: ١٠): "مبغض التوبيخ يموت". ويقول الجامعة في (٧: ٥): "سَمْعُ الانْتِهَارِ مِنَ الْحَكِيمِ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ مِنْ سَمْعِ غِنَاءِ الْجُهَّالِ". واستشهادنا هنا بالعهد القديم لأن العهد الجديد يراه امتدادا له. فقد ورد على لسان المسيح عليه السلام:"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ". متى ٥: ١٧.

(٦٣) رواه الترمذي في الباب ٤٨ من كتاب البر والصلة، وأحمد ١/ ٤٠٥، ٤١٦.

(٦٤) فما نشاهده اليوم من دعاء كثير من أئمة المساجد على أمم بعينها، كاليهود، والأمريكان، فهو أمر لا يشفع له الإدراك السليم للواقع؛ فليس كل اليهود ولا كل الأمريكان بأعداء للمسلمين؛ ولا يشفع له كذلك أي من النصوص الإسلامية، بل تضاده؛ يقول ﷺ في ذلك:"لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا". رواه مسلم برقم ٨٤ من كتاب البر، والترمذي، في الباب ٧٢ من كتاب البر، وأحمد ٢/ ٣٣٧، ٣٦٦؛ ويقول ﷺ: "إني لم أُبعث لعّانا، وإنما بُعثت رحمة". رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها من كتاب البر والصلة.

(٦٥) رواه أحمد في المسند، بَاقِي مُسْنَدِ الْأَنْصَارِ.

ذلك يقول: لا تغضب"[٦٦]. وفي رواية قال: مرني بأمر ولا تكثر علي حتى أعقله. قال: لا تغضب. فأعاد عليه، فأعاد عليه، قال: لا تغضب"[٦٧].

ويغري الإسلام بالحلم فيقول ﷺ:[٦٨]"حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ". وهي أوصاف لا تجتمع إلا في حليم. ويقول ﷺ:[٦٩]"مَنْ كَفَّ غضبَهُ كَفَّ اللهُ عنهُ عذابَهُ". ويقول ﷺ:[٧٠]"ألا أنبئكم بما يشرف الله تعالى به البنيان ويرفع به الدرجات؟. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أن تحلم على من جهل عليك....".

ويلفت الإسلام الأنظار إلى حقيقة أن قوة للإنسان لا تكمن في جسده وإنما في امتلاكه لنفسه عند الغضب فيقول ﷺ:[٧١]"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ".

ويرسم الإسلام القدوة في الحلم بالرسل الكرام:

فنبينا ﷺ كان حليما مطالبا عمر بن الخطاب ﷺ بالحلم – حينما هم بضرب الحبر اليهودي زيد بن سعْنَة الذي أمسك بتلابيب النبي ﷺ مطالبا له بدين لم يحن وقته (اختبارا لنبوته ﷺ)- فقال ﷺ لعمر ﷺ:[٧٢]"إنّا كنّا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التِّباعة، اذهب به يا عمر، فاقضه حقه وزده عشرين صاعا من غيره، مكان ما رعتَه". ويقول تعالى عن لين نبيه ﷺ راسما القدوة به لنا: [٧٣] "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ". ولين القلب هو لين حقيقي غير مصطنع لا يجاهد صاحبه نفسه لأجله.

---

(٦٦) رواه الترمذي في سننه في باب ما جاء في كثرة الغضب من كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ. وله شاهد في البخاري برقم ٥٦٧٨.

(٦٧) رواه أحمد في المسند، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة ﷺ.

(٦٨) رواه أحمد في المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند المكثرين من الصحابة. وله شواهد عند الترمذي، وابن حبان، والطبراني، وغيرهم.

(٦٩) رواه الألباني في السلسلة الصحيحة بإسناد حسن برقم ٢٣٦٠.

(٧٠) رواه الطبراني، انظر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب البر والصلة، باب مكارم الأخلاق والعفو عمن ظلم.

(٧١) رواه مسلم في صحيحه في بَاب فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، من كِتَاب الْبِرِّ، وَالصِّلَةِ، وَالْآدَابِ.

(٧٢) رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل.

(٧٣) آل عمران: ١٥٩.

وإبراهيم عليه السلام كان حليما في رده على أبيه آذر، حين "قالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا"(٧٤).

وموسى عليه السلام استجاب لأمر الله تعالى فكان حليما مع فرعون الذي نص الله تعالى في كتابه على أنه طغي، وعلى أنه أراه آيته كلها فكذب وأبى(٧٥)! فكيف بمن هو دونه؟! قال تعالى:(٧٦)"اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى".

ويرسم الإسلام القدوة في الحلم بالمولى عز وجل:

فيقول ﷺ:(٧٧)"لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل؛ إنه يُشرَك به، ويُجعَل له الولد؛ ثم هو يعافيهم، ويرزقهم".

ويقول تعالى:(٧٨)"وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ".. فنجده تعالى وهو الخلاق العليم حليما مع مخلوق عاص متكبر مصر على المعصية! – وهو إبليس– فيسمح له بالحوار معه حول معصية استحق عليها "اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ"(٧٩). وهي معصية رفضه السجود لآدم عليه السلام. . بل نجده تعالى هو الذي يبتدر إبليس بالمحاورة! بل ويتلطف معه فيسأله عن المانع من السجود؛ ليعطيه بذلك فرصة للتذرع بمانع ليفتح له بابا للرجوع والتوبة؛ ولا يبتدره بالحكم عليه أو حتى بالاتهام له بمجرد معصيته!. بل يسمح له بالاعتراض على الأمر والمحاورة بالباطل: ولا يفنيه، ولا يصعقه، ولا يصيبه بأذى– وهو عليه قادر، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في

(٧٤) مريم: ٤٦: ٤٧.
(٧٥) قال تعالى:"وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى". طه:٥٦.
(٧٦) طه: ٤٣: ٤٤.
(٧٧) رواه مسلم في صحيحه، في باب "لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل" من كتاب صفة القيامة والجنة والنار، برقم: ٢٨٠٤.
(٧٨) الأعراف: ١١: ١٦.
(٧٩) الحجر: ٣٥.

السماوات– بل ويسمح له بالتبجح في الإعلان عن التوعد بإضلال آدم وذريته؛ وأخيرا يستجيب له طلبه في الإمهال إلى يوم الدين.

أما وصف القرآن للذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها بالحمار الذي يحمل كتبا، – في قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"(٨٠)– فلا ينافي الحلم؛ فلقرآن هنا لم يسمّ اليهود، ولم يسبهم، وإنما رسم صورة تمثيلية توضيحية نقدية لزجر من حُمّل التوراة ثم لم يحملها، وكل يهودي يزعم أنه ليس كذلك. وكذا وصف القرآن للذي أتاه الله آياته فانسلخ منها(٨١)بالكلب: "إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ"(٨٢). وكذا تشبيه القرآن للغافلين بالأنعام؛ في قوله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"(٨٣). وكذا تشبيه القرآن لأكثر المستهزئين بالنبي ﷺ والذين اتخذوا إلههم هواهم بالأنعام في أنهم لا يسمعون ولا يعقلون؛ في قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"(٨٤). ففي كل هذه الآيات وأمثالها لا ينافي القرآن الحلم وإنما يرسم صورة تمثيلية نقدية لزجر فاعل لا يسميه القرآن، ويمكن لكل إنسان أن يزعم أنها لا تنطبق عليه، فالتنفير هنا من سلوك بعينه ولسنا أمام مهاجمة رعناء لشخص أو أشخاص بأعينهم دون حلم.

---

(٨٠) الجمعة:٥ .

(٨١) يذكر الكتاب المقدس أنه "بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ" ويذكر الكتاب المقدس أنه استجاب لبَالاَقُ بْنُ صِفُّورَ مَلِك مُوآبَ الذي قال له: "تَعَالَ وَالْعَنْ لِي هذَا الشَّعْبَ [شعب إسرائيل]، لأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنِّي، لَعَلَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَكْسِرَهُ فَأَطْرُدَهُ مِنَ الأَرْضِ، لأَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ الَّذِي تُبَارِكُهُ مُبَارَكٌ وَالَّذِي تَلْعَنُهُ مَلْعُونٌ..... فَقَالَ اللهُ لِبَلْعَامَ:.....لاَ تَلْعَنِ الشَّعْبَ، لأَنَّهُ مُبَارَكٌ..... فَقَامَ بَلْعَامُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى أَتَانِهِ وَانْطَلَقَ مَعَ رُؤَسَاءِ مُوآبَ. فَحَمِيَ غَضَبُ اللهِ لأَنَّهُ مُنْطَلِقٌ، وَوَقَفَ مَلاَكُ الرَّبِّ فِي الطَّرِيقِ لِيُقَاوِمَهُ ....». انظر سفر العدد ٢٢: ٦- ٢٢. وانظر رسالة بطرس الثانية ٢: ١٥- ١٦.

(٨٢) يقول تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". الأعراف: ١٧٥: ١٧٦.

(٨٣) الأعراف: ١٧٩.

(٨٤) الفرقان: ٤١: ٤٤.

وكذا قوله ﷺ لأبي ذَرٍّ ﷺ لما سَابَّ رَجُلاً فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ:(٨٥)"يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ". فلا ينافي الحلم فهذا نقد لذات بعينها بغرض التعليم، وإن كان منطويا على سب يهدف للقصاص. ومبدأ التصريح باسم المنتقَد للمصلحة الراجحة مبدأ اعتمده علماء الحديث في كتبهم في الجرح والتعديل؛ وكذا اعتمده المؤرخون؛ فلا بد لهم من تحري الضبط والعدالة في الرواة؛ وكذا اعتمده القضاة في قبول الشهادة وردها؛ بل لا بد وأن يعتمده كل إنسان في حياته طالما كانت هناك مصالح راجحة في ذلك، وهو ما يشير إليه قوله تعالى:(٨٦)"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".

ومن باب القصاص والزجر كذلك قوله تعالى على لسان من آمن من قوم نوح لمن كفر منهم:(٨٧)"إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ". ولا ينافي ذلك الحلم.

ومن هذا الباب كذلك قوله ﷺ:(٨٨)"من تعزَّى(٨٩)بعزاء الجاهلية(٩٠) فأعِضُّوه [بهَن أبيه(٩١)] ولا تكنوا". . أي من تعصب لأهل بلدته، أو قرابته، وأراد بهذا التعصب أن يفرّق جماعة الإسلام ويتكبر على الآخرين؛ فأعضوه بهن أبيه، أي: اشتموه وقولوا له: اعضض بهن أبيك، أي "بذَكَره"، وصرحوا بلفظ "الذَكَر" ولا تكنوا عنه بالهن؛ وفي ذلك تذكير له بأمر نفسه، وحقيقة أنه نطفة خرجت من عضو أبيه، ففي هذا التذكير تحقير له وزجر؛ ومن هنا يكون العقاب من جنس العمل.

ومن باب القصاص والزجر كذلك ما روي عن الصديق ﷺ أنه قال لعروة بن مسعود الثقفي(٩٢) لما قال في حواره مع النبي ﷺ عن الصحابة رضي الله عنهم: إنهم (أشواب أو أوباش) أي: أخلاط يفرون عنك ويدعوك، قال له الصديق ﷺ:(٩٣)"امصص بظر اللات،

---

(٨٥) رواه البخاري في صحيحه في باب "المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك" من كتاب الإيمان.
(٨٦) الحجرات: ٦.
(٨٧) هود: ٣٨.
(٨٨) رواه أحمد، ٥/ ١٣٦.
(٨٩) تعزى أي: انتسب.
(٩٠) بعزاء الجاهلية، أي: بنسبها والانتماء إليها.
(٩١) في رواية أخرى عند أحمد ١٣٦/٥.
(٩٢) وهو من سادات ثقيف وحلفاء قريش.
(٩٣) مسند أحمد٣٢٤/٤. وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٨/ ٤٠٨

أنحن ننكشف عنه!". وكان ذلك بحضور النبي ﷺ ولم يعترض النبي ﷺ على قول الصديق فكان سنة تقريرية.

ومن باب القصاص والزجر كذلك وصف النبي ﷺ لعمرو بن هشام الملقب بأبي الحكم بأبي جهل.

وكل هذا لا ينافي الحلم طالما قصد به منفعة ولم يترتب عليه مفسدة أعظم من المنكر المراد تغييره.

المبحث الثاني

المسامحة مع مخالف الدين

قراءة في الكتب المقدسة: اليهودية والمسيحية والإسلامية

موقف التلمود:

يحث التلمود على المسامحة؛ فيقول:[٩٤]"سهل الرضا ...ورِع".

ويرسم القدوة بالمسامحة بالله تعالى؛ فيصفه تعالى بأنه: "لا يسر بالعقاب"[٩٥].

إلا أنا نجد نصوصا في التلمود تحث على المسامحة الباطنية ثم تحث على عكسها: كقوله – مقتبسا نص سفر الأمثال (٢٤: ١٧– ١٨)–: "لا تشمت لسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر، لئلا يشهد الرب، فيسوء الأمر في عينيه، ويصرف غضبه عنه"[٩٦]. فالتناقض جلي بين الدعوة إلى المسامحة الباطنية للعدو بعدم الشماتة لسقوطه وعدم الابتهاج إذا عثر، وبين الرغبة في ألا يصرف الرب غضبه عنه؛ وكأن كاتب الفقرة الثانية ليس هو كاتب الفقرة الأولى.

موقف العهد القديم:

يحث العهد القديم على المسامحة لكل إنسان بصرف النظر عن دينه؛ فيقول:[٩٧]"لا تقل: لأجازين من أساء إليّ شرا". ويقول:[٩٨]"لاَ تَقُلْ: كَمَا فَعَلَ بِي هكَذَا أَفْعَلُ بِهِ. أَرُدُّ عَلَى الإِنْسَانِ مِثْلَ عَمَلِهِ".

ويؤكد على المسامحة الباطنية لكل إنسان بصرف النظر عن دينه؛ فيقول:[٩٩]"لاَ تَشْمَتْ بِمَوْتِ أَحَدٍ، اُذْكُرْ أَنَّا بِأَجْمَعِنَا نَمُوتُ".

ويعلل العهد القديم حثه على المسامحة بأنها ملازمة للتعايش مع الآخر، فيقول:[١٠٠]"لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ* أَيْضًا لاَ تَضَعْ قَلْبَكَ عَلَى

---

(٩٤) المشنا الرابعة، المبحث التاسع: آفوت أو الآباء ، الفصل الخامس، الفقرة (ك)، ص٢٩٢.
(٩٥) السابق: الفصل الثاني، الفقرة (م)، ص٢٧٩.
(٩٦) السابق: الفصل الرابع، الفقرة (ق)، ص٢٨٧.
(٩٧) سفر الأمثال: ٢٠: ٢٢.
(٩٨) السابق: ٢٤: ٢٩.
(٩٩) سفر يشوع بن سيراخ ٨: ٨.
(١٠٠) سفر الجامعة ٧: ٢٠- ٢٢.

كُلِّ الْكَلاَمِ الَّذِي يُقَالُ، لِئَلاَّ تَسْمَعَ عَبْدَكَ يَسِبُّكَ*لأَنَّ قَلْبَكَ أَيْضًا يَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ كَذلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً سَبَبْتَ آخَرِينَ". والمعنى أن كل إنسان حتى الصديق يخطئ في حق الآخرين، فإن لم نتسامح وأصر طرف على البحث فيما قاله ويقوله الآخر سيجد أن أقرب الناس إليه وأبعدهم عن التهمة (عبدك) ليسوا بعيدين عن شتمه وعيبه، لا كراهية أو عداء له وإنما هي الطبيعة الإنسانية غير الكاملة، والتي تختلط فيها مشاعر المحبة والصداقة والغيرة والغضب...الخ وليس أدل على ذلك من مراجعتنا لأنفسنا لنرى ما نصدره في حق أصدقائنا من كلمات نكره سماعهم لها لكونها لا تعبر عن مشاعرنا الحقيقية وإنما عن مجرد شعور لحظي عابر.

ويغري العهد القديم بالمسامحة لكل إنسان فيجعلها – في الدنيا– سببا للذة العيش، وراحة القلب وهدوئه، وشفاء الجسد وحياته؛ كما يجعلها سببا للمجد، والفخر؛ فيقول:(١٠١)"اَلْكَلاَمُ الْحَسَنُ شَهْدُ عَسَل، حُلْوٌ لِلنَّفْسِ وَشِفَاءٌ لِلْعِظَامِ". ويقول:(١٠٢)"حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ". ويقول:(١٠٣)"مَجْدُ الرَّجُلِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْخِصَامِ وَكُلُّ أَحْمَقَ يُنَازِعُ". ويقول:(١٠٤)"الإِنْسَانِ ....فَخْرُهُ الصَّفْحُ عَنْ مَعْصِيَةٍ". ولا شك أن هذه الاستفادة متحققة سواء كان التسامح مع مؤمن أو كافر.

أما في الآخرة– فيجعل العهد القديم المسامحة لكل إنسان سببا لمسامحة الرب لنا؛ فيقول:(١٠٥)"مَنِ انْتَقَمَ، يُدْرِكُهُ الانْتِقَامُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَيَتَرَقَّبُ الرَّبُّ خَطَايَاهُ* اِغْفِرْ لِقَرِيبِكَ ظُلْمَهُ لَكَ فَإِذَا تَضَرَّعْتَ تُمْحَى خَطَايَاكَ* أَيَحْقِدُ إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ، ثُمَّ يَلْتَمِسُ مِنَ الرَّبِّ الشِّفَاءَ؟* أَمْ لاَ يَرْحَمُ إِنْسَاناً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ عَنْ خَطَايَاهُ* إِنْ أَمْسَكَ الْحِقْدَ وَهُوَ بَشَرٌ؛ فَمَنْ يُكَفِّرُ خَطَايَاهُ؟* اُذْكُرْ أَوَاخِرَكَ وَاكْفُفْ عَنِ الْعَدَاوَةِ". وقوله "اِغْفِرْ لِقَرِيبِكَ.....". فالمقصود بالقريب في العهد القديم بوجه عام: "الإسرائيلي: يهوديا كان أو غير يهودي"(١٠٦). والكلام هنا بوجه عام عن رحمة الإنسان بالإنسان بصرف النظر عن الأديان، ومن ثمة كان قوله: "أَيَحْقِدُ إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ...".

---

(١٠١) سفر الأمثال ١٦: ٢٤.
(١٠٢) السابق: ١٤: ٣٠.
(١٠٣) السابق ٢٠: ٣.
(١٠٤) السابق ١٩: ١١.
(١٠٥) سفر يشوع بن سيراخ ٢٨: ١-٦.
(١٠٦) انظر: اليسوعي وآخرون: معجم اللاهوت الكتابي، ص٦٢٤. ويقابل هذا المصطلح مصطلح "الغريب" والمقصود به في العهد القديم عادة: كل من ليس من نسل إسرائيل (يهوديا كان أو غير يهودي). انظر: فكري: تفسير سفر العدد ١٥: ١٤- ١٥. فالدعوة إلى المغفرة للقريب تجمع الاثنين (اليهودي وغير اليهودي) بلا فرق.

ويرسم العهد القديم القدوة بالمسامحة بالأنبياء عليهم السلام: مرة بداود ﷺ الذي حزن على موت عدوه اللدود شاول[١٠٧]. واستنكر الفرح ببلية أعدائه فقال مستنكرا:[١٠٨]"إِنْ كُنْتُ قَدْ فَرِحْتُ بِبَلِيَّةِ مُبْغِضِي أَوْ شَمِتُّ حِينَ أَصَابَهُ سُوءٌ!". ومرة بإشعياء ﷺ القائل:[١٠٩]"تَرِنُّ أَحْشَائِي كَعُودٍ مِنْ أَجْلِ مُوآبَ[١١٠] وَبَطْنِي مِنْ أَجْلِ قِيرَ حَارِسَ"[١١١]. وقد كان المؤابيون[١١٢] – بحسب الكتاب المقدس– أعداء لبني إسرائيل وقد أوقعوا بني إسرائيل في عبادة الأوثان[١١٣] وغزوا أرضهم[١١٤] وحاربوا الملك شاول[١١٥] وداود ﷺ[١١٦].

كما يرسم العهد القديم القدوة بالمسامحة بالرب تعالى فيقول:[١١٧]"إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنَّنَا لَمْ نَفْنَ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ لاَ تَزُولُ". ويقول:[١١٨]"وَأَنْتَ إِلهٌ غَفُورٌ". "تَتَغَاضَى عَنْ خَطَايَا النَّاسِ لِكَيْ يَتُوبُوا"[١١٩]. ويقول على لسان الرب مخاطبا بني إسرائيل:[١٢٠]"مِنْ أَجْلِ فَخْرِي أُمْسِكُ عَنْكَ حَتَّى لاَ أَقْطَعَكَ".

إلا أنا نجد نصوصا في العهد القديم تحث على المسامحة الباطنية ثم تحث على عكسها: كقوله:[١٢١]"لاَ تَفْرَحْ بِسُقُوطِ عَدُوِّكَ، وَلاَ يَبْتَهِجْ قَلْبُكَ إِذَا عَثَرَ * لِئَلاَّ يَرَى الرَّبُّ وَيَسُوءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْهِ، فَيَرُدَّ عَنْهُ غَضَبَهُ". فالتناقض بين الفقرتين الأولى والثانية جلي – كما سبق بيانه– وكأن كاتب الفقرة الثانية ليس هو كاتب الفقرة الأولى.

---

(١٠٧) انظر سفر صمويل الثاني: الأصحاح الأول.
(١٠٨) سفر أيوب ٣١: ٢٩.
(١٠٩) سفر إشعياء: ١٦: ١١.
(١١٠) عندما انهارت مؤاب أمام الأشورين.
(١١١) وقد كانت قير حارس مدينة حصينة في أرض مؤاب. انظر: بارتون وآخرون: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٥٥٩.
(١١٢) وهم من نسل لوط ﷺ بحسب الكتاب المقدس. انظر سفر التكوين ١٩: ٣٧.
(١١٣) انظر سفر العدد ٢٥: ١- ٣.
(١١٤) انظر سفر القضاة ٣: ١٢- ١٤.
(١١٥) سفر صموئيل الأول: ١٤: ٤٧.
(١١٦) سفر صموئيل الثاني: ٨: ٢، ١١، ١٢.
(١١٧) سفر مراثي إرميا ٣: ٢٢.
(١١٨) سفر نحميا ٩: ١٧.
(١١٩) سفر الحكمة ١١: ٢٤.
(١٢٠) سفر أشعياء ٤٨: ٩.
(١٢١) سفر الأمثال ٢٤: ١٧- ١٨.

كما نجد نصوصا في العهد القديم تسير صراحة في الاتجاه المعاكس للمسامحة: كقوله: "يَا رَبُّ* اسْتَأْنِفِ الآيَاتِ، وَأَحْدِثِ الْعَجَائِبَ * مَجِّدْ يَدَكَ، وَذِرَاعَكَ الْيُمْنَى* أَثِرْ غَضَبَكَ، وَصُبَّ سُخْطَكَ * دَمِّرِ الْمُقَاوِمَ، وَاحْطِمِ الْعَدُوَّ* عَجِّلِ الزَّمَانَ، وَاذْكُرِ الْمِيثَاقَ، وَلْيُخْبَرْ بِعَظَائِمِكَ * لِتَأْكُلْ نَارُ الْغَضَبِ النَّاجِيَ، وَلْيَلْقَ مُضَايِقُو شَعْبِكَ الْهَلاَكَ*اهْشِمْ رُؤُوسَ قَادَةِ الأَعْدَاءِ"(١٢٢). وكقوله على لسان الرب: "وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا"(١٢٣).

<u>موقف العهد الجديد:</u>

ينفر العهد الجديد من ترك المسامحة فيقول:(١٢٤)"الْحُكْم هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً"(١٢٥). والرحمة في مجلس القضاء لا تختلف كثيرا عن المسامحة فهي التي تؤدي إليها.

ويرسم العهد الجديد صورة تمثيلية ليؤكد على أن من لا يُسامح لا يحق له أن يطلب المسامحة؛ فيقول:(١٢٦)"يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ* فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلاَفِ وَزْنَةٍ* وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَأَوْلاَدُهُ وَكُلُّ مَا لَهُ، وَيُوفَى الدَّيْنُ.* فَخَرَّ الْعَبْدُ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ* فَتَحَنَّنَ سَيِّدُ ذلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ، وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ* وَلَمَّا خَرَجَ ذلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ وَاحِدًا مِنَ الْعَبِيدِ رُفَقَائِهِ، كَانَ مَدْيُونًا لَهُ بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ بِعُنُقِهِ قَائِلاً: أَوْفِنِي مَا لِي عَلَيْكَ* فَخَرَّ الْعَبْدُ رَفِيقُهُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيَكَ الْجَمِيعَ* فَلَمْ يُرِدْ بَلْ مَضَى وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنٍ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ* فَلَمَّا رَأَى الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُ مَا كَانَ، حَزِنُوا جِدًّا. وَأَتَوْا وَقَصُّوا عَلَى سَيِّدِهِمْ كُلَّ مَا جَرَى* فَدَعَاهُ حِينَئِذٍ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ، كُلُّ ذلِكَ الدَّيْنِ تَرَكْتُهُ لَكَ لأَنَّكَ طَلَبْتَ إِلَيَّ* أَفَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّكَ أَنْتَ أَيْضًا تَرْحَمُ

---

(١٢٢) سفر يشوع بن سيراخ ٣٦: ٥- ١٢.
(١٢٣) سفر صموئيل الأول ١٥: ٣.
(١٢٤) رسالة يعقوب ٢: ١٣.
(١٢٥) يقول القس أنطونيوس فكري:"من يستعمل حقه حتى لو بعدل وبدون رحمة ويأخذ حقه من أخيه ولا يرحمه يخسر رحمة الله، فالله أيضا سيعامله بعدل وبدون رحمة. هذا الإنسان لم يتشبه بالله". فكري: شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - تفسير رسالة يعقوب ٢:١٣.
(١٢٦) إنجيل متى ١٨: ٢٣- ٣٥.

الْعَبْدَ رَفِيقَكَ كَمَا رَحِمْتُكَ أَنَا؟* وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى يُوفِيَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ* فَهكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرُكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لأَخِيهِ زَلاَتِهِ".

ويحث العهد الجديد على المسامحة فيقول:(١٢٧)"انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ". ويقول:(١٢٨)"لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ. ..... إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ... لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ". ويقول:(١٢٩)"كُونُوا جَمِيعًا..... غَيْرَ مُجَازِينَ عَنْ شَرّ بِشَرّ أَوْ عَنْ شَتِيمَةٍ بِشَتِيمَةٍ". ويقول:(١٣٠)"كُونُوا غَيْرَ مُخَاصِمِينَ..... لِجَمِيعِ النَّاسِ". وكلمة الناس عامة تشمل المؤمنين وغير المؤمنين.

ويبين مداها المطلوب فيقول:(١٣١)"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ".

ويحكي العهد الجديد عن بطرس أنه قال للمسيح ﷺ: "يَا رَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ"(١٣٢).

ويؤكد العهد الجديد على أن المحبة والتي هي جوهر الإيمان المسيحي ملازمة للمسامحة فيقول:(١٣٣)"الْمَحَبَّةُ .....لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، ..... وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، ..... وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا".

---

(١٢٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكي ٥: ١٥.
(١٢٨) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٢: ١٧- ٢١.
(١٢٩) رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ٨- ٩.
(١٣٠) رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٣: ٢.
(١٣١) إنجيل متى :٥: ٣٨ -٤١. وانظر إنجيل لوقا ٦: ٢٩.
(١٣٢) إنجيل متى ١٨: ٢١- ٢٢. ولعل المقصود بالعدد "سبعة" ليس العدد الذي بين الستة والثمانية وإنما الكناية عن الكثرة؛ يقول قاموس الكتاب المقدس: "يرمز العدد سبعة في الكتاب المقدس إلى التمام والكمال.. وكان البابليون الساميون يطلقون كلمة واحدة على العدد سبعة وعلى كلمة "كل" كما كان العدد سبعة تعبيرًا عن أعظم قوة وعن كمال العدد". انظر: بطرس عبد الملك وآخرين: قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٥٦". وسمى الأسد سبعا لكمال قوته". الغيتابى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١/ ١٢٧. وانظر: المزيد من التفصيلات عن مفهوم العدد (٧) عند العرب وفي الإسلام . السيد عبد الحكيم عبدالله: من أسرار العددين ٣، ٧ في القرآن والسنة.
(١٣٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣: ٤- ٨

ويغري العهد الجديد بالمسامحة فيقول:[١٣٤]"الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ"[١٣٥]. والرحمة في مجلس القضاء لا تختلف كثيرا عن المسامحة فهي التي تؤدي إليها.

ويغري بثمار المسامحة فيقول:[١٣٦]"لاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ* .....لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ"؛ ويقول:[١٣٧]"فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَتِكُمْ". ويقول:[١٣٨]"فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ".

ويرسم العهد الجديد القدوة في المسامحة فيقول:[١٣٩]"كُونُوا ..... مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا"؛ ويقول:[١٤٠]"لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ". ويقول:[١٤١]"مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا".

فإن خيف التمادي وتأصل الفساد فلابد من الزجر؛ يقول الكتاب المقدس على لسان المسيح:[١٤٢]"أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا". ويقول:[١٤٣]"لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا". ويقول:[١٤٤]"مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا".

<u>موقف الإسلام:</u>

تفرق النصوص الإسلامية بين ما تقتضيه المواقف المختلفة من مسامحة أو زجر وقصاص.

---

(١٣٤) رسالة يعقوب ٢: ١٣.
(١٣٥) "والحكم هو العدل". فكري: شرح الكتاب المقدس - العهد الجديد - تفسير رسالة يعقوب ٢: ١٣.
(١٣٦) إنجيل لوقا ٦: ٣٧- ٣٨.
(١٣٧) إنجيل مرقس ١١: ٢٥.
(١٣٨) إنجيل متى ٦: ١٤، ١٥.
(١٣٩) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٣٢.
(١٤٠) إنجيل متى ٥: ٥٤.
(١٤١) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣: ١٣.
(١٤٢) إنجيل لوقا ١٢: ٥١.
(١٤٣) إنجيل متى: ١٠: ٣٤.
(١٤٤) إنجيل لوقا ٢٢: ٣٦.

فمسامحة مخالف الإيمان – ما لم يترتب على ذلك ضرر– فضيلة يحث الإسلام عليها؛ فيقول تعالى:(١٤٥)"قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ". ويقول تعالى لنبيه ﷺ عن اليهود:(١٤٦)"وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". ويقول تعالى:(١٤٧)"وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ". ولفظ "الناس" يشمل المؤمنين وغيرهم.

وذلك لأن المسامحة تحول الأعداء إلى أصدقاء يقول تعالى:(١٤٨)"وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ".

ولكن لما كانت المسامحة من الصعوبة حتى كان "مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ". كان الإغراء بها عظيما في النصوص الإسلامية: فجعل الإسلام من صفات المؤمنين؛ أنهم "إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ"(١٤٩). وجعل من أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن "تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ" ففي الحديث يقول النبي ﷺ لعقبة بن عامر ﷺ:(١٥٠)"يَا عُقْبَةُ، أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ". وأخيرا جعل الإسلام مسامحة الخلق داعية لمسامحة الخالق فقال تعالى:(١٥١)"وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ".

ويقدم لنا النبي ﷺ مثلا عليا في المسامحة مع مخالفيه في العقيدة، ومن ذلك: أنه عندما منع ثمامة بن آثال ﷺ الميرة من اليمامة عن قريش لما أسلم، وكتبت قريش إلى النبي ﷺ تستغيثه أن يكتب إلى ثمامة فلا يمنع قريشا الميرة من اليمامة، استجاب النبي

---

(١٤٥) الجاثية: ١٤.

(١٤٦) المائدة: ١٣. وقوله: "فَاعْفُ عَنْهُمْ". "قال قتادة: هذه الآية (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ) منسوخة بقوله {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ}. التوبة:٢٩". ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة.. والنسخ إنما يكون إذا تعذر العمل بالنصين أو فيما جاء به خبر من الله جلّ وعزّ, أو من رسوله ﷺ.. وهو ما لا ينطبق على الحالة التي أمامنا؛ يقول الطبري: "ليس في قوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ دلالة على الأمر بنفي معاني الصفح والعفو عن اليهود". الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تفسير الآية ١٣ من سورة المائدة.

(١٤٧) آل عمران: ١٣٤.

(١٤٨) فصلت: ٣٤: ٣٥.

(١٤٩) الشورى: ٣٧.

(١٥٠) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٣٥٠.

(١٥١) النور: ٢٢.

لطلب قريش، وهم يومئذ كفّار أعداء محاربون![١٥٢]. ورغم شدة إيذاء قريش له ﷺ نجده يقول لملك الجبال – وقد عرض عليه أن يهلك من آذوه–: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا"[١٥٣]. وبعد فتح مكة نجده ﷺ يعفو عن أهلها قائلا لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[١٥٤]. بل إن النبي ﷺ لم يقتل، ولم يعاقب، بل لم يُعنِّف من سحره، ومن سمَّه، ومن حاول اغتياله؛ بل عفا عنهم جميعا. فعفا عن "لبيد بن الأعصم" المنافق حليف اليهود، الذي سحره ﷺ [١٥٥]، واعترف بذلك. وعفا عن اليهودية التي سمَّته ﷺ ومن تواطأ معها[١٥٦]، وعفا عن الأعرابي الذي حاول اغتياله ﷺ وهو نائم[١٥٧]، وعفا عن فضالة بن عمير الليثي الذي أراد اغتياله ﷺ عند الكعبة[١٥٨]، وعفا عن شيبة بن عثمان بن طلحة الحجبي الذي حاول اغتياله ﷺ يوم حنين في المعركة[١٥٩]، وعفا عن عمير بن وهب الذي حاول اغتياله ﷺ في المدينة[١٦٠].

بل نجده ﷺ يوصى بأسرى أعدائه من الكفار المحاربين؛ فيقول ﷺ: "استوصوا بالأسارى خيرا"[١٦١] ولم يكن أسرى المسلمين في عهده ﷺ إلا من المخالفين في المعتقد.

---

(١٥٢) انظر:البيهقي: دلائل النبوة ٤/ ٧٨: ٨٠. ابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ٣٨١.

(١٥٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب "إذا قال أحدكم آمين". . ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين.

(١٥٤) رواه ابن إسحاق في السيرة، وابن هشام: في السيرة النبوية ؛ وابن القيم: في زاد المعاد. والطبري في التاريخ، وابن كثير في "البداية والنهاية"، كل في قصة فتح مكة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة.

(١٥٥) انظر: البخاري في صحيحه بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني،١٢/ ٣٤٥: ٣٤٧ . . ولمزيد من التفصيلات انظر: جمال الحسيني أبوفرحة: ميزان النبوة، ملحق رقم (٢) (في حقيقة سحر الرسول ﷺ)، ص ص٣٦١: ٣٧٠. وفيه رد على كل ما أثير من شبهات حول قضية سحر الرسول ﷺ، وتأكيد على عصمته ﷺ وأن سحره ﷺ لم يتعرض لجوانب العصمة في تبليغ الرسالة.

(١٥٦) راجع البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب قبول هبة المشرك، وكتاب الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين. . ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب السم. . وأبو داود في سننه، كتاب الديات، باب من سقى رجلا سما أو أطعمه فمات.

(١٥٧) راجع البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب من علّق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توكله ﷺ على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس.

(١٥٨) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ٨٥.

(١٥٩) راجع: البيهقي: دلائل النبوة، ٥/ ١٤٥. الهيثمي: مجمع الزوائد ٦ / ١٨٤.ابن هشام: السيرة ٤/ ١٢٤.

(١٦٠) راجع: الهيثمي: مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٤: ٢٨٧.. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٣٧١: ٣٧٤.

(١٦١) رواه الطبراني في الكبير والصغير وإسناده حسن كما في مجمع الزوائد.

وأخيرا يرسم الإسلام القدوة في المسامحة بالله تعالى فيقول ﷺ :[١٦٢]" مَنِ اعْتَذَرَ إلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ". ويقول تعالى:[١٦٣]"لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا * إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا". فالعدل في قوله "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ" والمسامحة ورسم القدوة لها في قوله "أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا".

ومن هنا تسابق الرعيل الأول من سلف هذه الأمة في العفو والصفح والإحسان إلى المسيئ؛ حتى جعل ابن قيم الجوزية من مراتب الجود، الجود بالعرض فقال:[١٦٤]"الجود بالعرض كجود أبي ضمضم من الصحابة، كان إذا أصبح قال: اللهم لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمنيي أو قذفني فهو في حل! فقال النبي ﷺ:[١٦٥] من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم؟!".

فإن خيف التمادي وتأصل الفساد فلابد من الزجر والقصاص؛ قال تعالى:[١٦٦]"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"؛ وقال:[١٦٧]"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ". وقال تعالى:[١٦٨]"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ". فإذا خيف ترتب ضرر أعظم عن القصاص والزجر لم يجز؛ وهو ما يشير إليه قوله تعالى: "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"[١٦٩]. ومن هذا الباب: ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور؛ لما لهم من أعوان؛ فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزم إزالة معروف أكثر

(١٦٢) رواه الألباني في السلسلة الصحيحة بإسناد حسن برقم ٢٣٦٠.
(١٦٣) سورة النساء ١٤٨: ١٤٩.
(١٦٤) ابن القيم: مدارج السالكين، ٢/ ٢٨١.
(١٦٥) ونص رواية أبي داود: قال ﷺ: "أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم قالوا ومن أبو ضمضم قال رجل فيمن كان من قبلكم بمعناه قال عرضي لمن شتمني". أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، ورواه أبو داود موقوفا عن قتادة قال "أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم أو ضمضم - شك ابن عبيد- كان إذا أصبح قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك". السابق: نفس الموضع، ورواه ابن السني والبزار والعقيلي في الضعفاء عن أنس، وضعفه الحافظ العراقي والألباني.
(١٦٦) البقرة: ١٧٩.
(١٦٧) البقرة: ٢٥١.
(١٦٨) التوبة: ٧٣.
(١٦٩) الأنعام: ١٠٨.

من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه(١٧٠).

وأما ما يروى عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قَالَتْ: سُرِقَتْ مِخْنَقَتِي, فَدَعَوْتُ عَلَى صَاحِبِهَا, فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:(١٧١)" لَا تُسَبِّخِي عَلَيْهِ دَعِيهِ بِذَنْبِهِ"؛ وفي رواية لأبي داود قال:(١٧٢)"لَا تُسَبِّخِي عَنْهُ بدعائك عليه". قَالَ أَبُو دَاوُد:(١٧٣)"لَا تُسَبِّخِي: أَيْ لَا تُخَفِّفِي عَنْهُ". أي بدعائك عليه. وهذا المعنى يشبه معنى نص العهد القديم سابق الذكر والمقتبس في التلمود(١٧٤) القائل:(١٧٥)"لاَ تَفْرَحْ بِسُقُوطِ عَدُوِّكَ، وَلاَ يَبْتَهِجْ قَلْبُكَ إِذَا عَثَرَ* لِئَلاَّ يَرَى الرَّبُّ وَيَسُوءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْهِ، فَيَرُدَّ عَنْهُ غَضَبَهُ". والذي وصفناه بالتناقض حيث يدعو إلى المسامحة الباطنية للعدو وفي نفس الوقت يعلل هذه المسامحة بالرغبة في ألا يرد الله غضبه عنه. ولا شك أن التخفيف من معاني التسبيخ، ولكن المعنى هكذا لا يتوافق مع ما تدل عليه النصوص الإسلامية الأخرى من دعوة شاملة إلى التسامح في الدنيا والآخرة؛ وعليه فأرى أن المقصود بالتسبيخ هنا معنى لغوي آخر(١٧٦): تقول العرب: "سَبَّخَ القُطنَ: أي نَفَّشَهُ ووسَّعَهُ". وكأن المعنى لا توسعي عليه إثمه. وتقول العرب: "سبَّخ الفلاَّحُ الأرضَ: أي غذّاها بالسِّباخ وهو السماد". وكأن المعنى لا تغذي إثمه؛ وتقول العرب: "السَّبَخَة ما يعلو الماء من طحلب ونحوه" وكأن المعنى: لا تزيدي عليه كفاه إثمه!

فللمظلوم مع ظالمه ثلاث حالات: الانتصاف ولو بالدعاء عليه، وهو ما يدل عليه قوله ﷺ:"من دعا على من ظلمه فقد انتصر"(١٧٧). أو تأخير الحق إلى الآخرة، أو العفو

---

(١٧٠) انظر: ابن تيمية: رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٢٦. والحسبة في الإسلام، ص٧٨. وانظر: النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣١٨٥/٤. ولمزيد من التفصيلات حول شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، راجع كتابنا: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي المبحث الأول من الطبعة الرابعة.

(١٧١) رواه أحمد في المسند، مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، سادس عشر الأنصار. برقم:٢٥٢٢٥.

(١٧٢) رواه أبو داود في باب الدعاء من كتاب الصلاة.

(١٧٣) السابق نفس الموضع، وانظر: البغوي: شرح السنة، باب ترك الدعاء على الظالم، ١٥٤/٥.

(١٧٤) المشنا الرابعة، المبحث التاسع: آفوت أو الآباء ، الفصل الرابع، الفقرة (ق)، ص٢٨٧.

(١٧٥) سفر الأمثال ٢٤: ١٧- ١٨.

(١٧٦) انظر ابن منظور: السابق، مادة سبخ.

(١٧٧) أخرجه الترمذي في باب "من دعا على من ظلم فقد انتصر"، من كتاب الدعوات.

والمسامحة في الدنيا والآخرة، فيكون أجر المسامح على الله، وهذا أحسنها؛ يقول تعالى:(١٧٨)"وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ".

وفلسفة الإسلام في المسامحة الأخروية هي أن المسلم ينبغي ألا يكون عونا للشيطان على هلاك من أغواه تحقيقا لوعيده حين "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"(١٧٩). وحين "قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا"(١٨٠). فعن أبي هريرة ﷺ قال:(١٨١)"أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: اضْرِبُوهُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ: لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ".

(١٧٨) سورة الشورى:٤٠.

(١٧٩) سورة ص: ٨٢: ٨٣.

(١٨٠) سورة الإسراء: ٦٢.

(١٨١) رواه البخاري في صحيحه في بَاب الضَّرْبِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، من كِتَاب الْحُدُودِ، برقم ٦٣٠٧.

الخاتمة

خلاصة واستخلاص

الخلاصة:

بعد هذه القراءة في الكتب المقدسة لدى أصحابها: اليهودية والمسيحية والإسلامية، نخلص بالآتي:

الحلم:

<u>موقف التلمود من الحلم:</u>

- **يحث التلمود على الحلم.**
- **ويغري التلمود بالحلم.**

<u>موقف العهد القديم من الحلم:</u>

- **ينهى العهد القديم عن الغضب.**
- **ينفر العهد القديم من الغضب**
- **يغري بالحلم وبثماره.**
- **يرسم الطريق إلى الحلم.**
- **يرسم القدوة في الحلم مرة بموسى ﷺ؛ ومرة بالرب تعالى.**

<u>موقف العهد الجديد من الحلم :</u>

- **ينهى العهد الجديد عن الغضب.**
- **ينفر العهد الجديد من الغضب.**
- **يحث العهد الجديد على الحلم.**
- **يغري العهد الجديد بثمار الحلم.**
- **يقدر العهد الجديد أن الغضب شعور بشري طبعي لا يستطيع عامة الناس محوه، فهو لا محالة واقع من عامة الناس، ومن ثمة حث العهد الجديد على أن يقتصر الغضب متى وقع على كونه شعورا داخليا غير منفث عنه بخطأ في القول أو الفعل، وعلى ألا يتمادى الغاضب في غضبه؛ تكفيه ساعة أو ساعات يجاهد فيها شعوره بالغضب، وعليه ألا يدع الشمس ترحل وهو في حالة غيظ.**

- **يؤكد العهد الجديد على أن المحبة والتي هي جوهر الإيمان المسيحي ملازمة للحلم.**
- **يرسم العهد الجديد القدوة في الحلم مع مخالف الدين بالمسيح ﷺ.**
- **نجد في العهد الجديد نصوصا تسير في ظاهرها في وجهة معاكسة للحلم، فنجد المسيح ﷺ يصف اليهود مرة بالجهَّال والعميان ومرة بالحيات أولاد الأفاعي – وفي رأيي– أن السب يكون ضد العدل عندما يكون اعتداء، ويكون ضد الحلم عندما يصدر دون روية وتعقل للعواقب. ويكون موافقا للعدل والحلم عندما يهدف للقصاص أو الزجر ويصدر بعد روية وتفكر في العواقب؛ فلا يترتب عليه منكر أعظم من المنكر المراد تغييره.**

<u>موقف النصوص الإسلامية من الحلم:</u>

- **ينفر الإسلام من الغضب.**
- **يغري الإسلام بالحلم.**
- **يلفت الإسلام الأنظار إلى حقيقة أن قوة للإنسان لا تكمن في جسده وإنما في امتلاكه لنفسه عند الغضب.**
- **يرسم الإسلام القدوة في الحلم بالرسل الكرام وبالمولى عز وجل.**
- **لا ينافي القرآن الكريم الحلم عندما ينفر من السلوكيات غير المرغوبة برسم صور تمثيلية نقدية لزجر فاعليها دون أن يسميهم، ليعطي الفرصة لكل إنسان للهروب من الوصف بتلك الصورة.**
- **كثيرا ما تضمنت النصوص الإسلامية نقدا لذات بعينها بغرض التعليم، أو سبا بغرض الزجر أو القصاص، وكل هذا لا ينافي الحلم طالما صدر عن حكمة؛ فلم يترتب عليه منكر أعظم من المنكر المراد تغييره.**

المسامحة:

<u>موقف التلمود من المسامحة:</u>

- **يحث التلمود على المسامحة.**
- **ويرسم القدوة للمسامحة بالله تعالى.**

- نجد نصوصا في التلمود تحث على المسامحة الباطنية ثم تحث على عكسها وكأن لهذه النصوص كاتبين مختلفين في نظرتهما.

موقف العهد القديم من المسامحة:

- يحث العهد القديم على المسامحة لكل إنسان بصرف النظر عن دينه.
- ويؤكد على المسامحة الباطنية لكل إنسان بصرف النظر عن دينه.
- يعلل العهد القديم حثه على المسامحة بأنها ملازمة للتعايش مع الآخر.
- يغري العهد القديم بالمسامحة لكل إنسان فيجعلها – في الدنيا– سببا للذة العيش، وراحة القلب وهدوئه، وشفاء الجسد وحياته؛ كما يجعلها سببا للمجد، والفخر؛ ولا شك أن هذه الاستفادة متحققة سواء كان التسامح مع مؤمن أو كافر. أما في الآخرة– فيجعل العهد القديم المسامحة لكل إنسان سببا لمسامحة الرب لنا.
- يرسم العهد القديم القدوة بالمسامحة بالأنبياء عليهم السلام:
- كما يرسم العهد القديم القدوة بالمسامحة بالرب تعالى.
- نجد في العهد القديم حث على المسامحة الباطنية ثم حث على عكسها: وكأن كاتب أول النص ليس هو كاتب آخره.
- نجد نصوصا في العهد القديم تسير صراحة في الاتجاه المعاكس للمسامحة.

موقف العهد الجديد من المسامحة:

- ينفر العهد الجديد من ترك المسامحة.
- يرسم العهد الجديد صورة تمثيلية ليؤكد على أن من لا يُسامِح لا يحق له أن يطلب المسامحة.
- يحث العهد الجديد على المسامحة.
- يبين مداها المطلوب.
- يؤكد العهد الجديد على أن المحبة والتي هي جوهر الإيمان المسيحي ملازمة للمسامحة.
- يغري العهد الجديد بالمسامحة، وبثمارها.
- يرسم العهد الجديد القدوة في المسامحة بالرب تعالى.

- **يرى العهد الجديد أنه إن خيف التمادي وتأصل الفساد فلابد من الزجر.**

<u>موقف الإسلام من المسامحة:</u>

- **تفرق النصوص الإسلامية بين ما تقتضيه المواقف المختلفة من مسامحة أو زجر وقصاص.**
- **تعتبر نصوص الإسلام مسامحة مخالف الإيمان – ما لم يترتب على ذلك ضرر – فضيلة تحول الأعداء إلى أصدقاء.**
- **تغري النصوص الإسلامية بالمسامحة فتجعلها من صفات المؤمنين، وتجعلها من أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة، وتجعلها داعية لمسامحة الخالق.**
- **ترسم النصوص الإسلامية القدوة بالمسامحة بالنبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.**
- **ترسم النصوص الإسلامية القدوة في المسامحة بالله تعالى.**
- **تدعو النصوص الإسلامية إلى الزجر والقصاص إن خيف التمادي وتأصل الفساد إلا إن خيف ترتب ضرر أعظم عن القصاص والزجر.**
- **في منظور النصوص الإسلامية: للمظلوم مع ظالمه ثلاث حالات: الأولى: الانتصاف ولو بالدعاء عليه. الثانية: تأخير الحق إلى الآخرة. الثالثة: العفو والمسامحة في الدنيا والآخرة، فيكون أجر المسامح على الله، وهذا أحسنها.**
- **فلسفة الإسلام في المسامحة الأخروية هي أن المسلم ينبغي ألا يكون عونا للشيطان على هلاك من أغواه تحقيقا لوعيده.**

الاستخلاص:

من كل ما سبق يمكننا استخلاص ما يلي:

- **إن الولاء للإخوة الإنسانية وما ينشأ عنه من أخلاق إنسانية رفيعة أمر ظاهر ومؤكَّد في الكتب المقدسة محل هذه الدراسة.**
- **إن التوقف أمام تلك النصوص التي نجدها أحيانا تغري بالإساءة إلى الآخر في المعتقد محله دراسة عن العدل لا اللين؛ ويقع على عاتق المتشبثين بهذه النصوص عبء توجيه ما أوردناه من نصوص تحض على اللين مع مخالف الدين.**
- **إن المواقف المناهضة للين مع مخالف الدين لا تنطلق من عامة النصوص المقدسة في أي من الديانات الثلاث موضع الدراسة؛ وإنما تنطلق من نظرة انتقائية للنصوص وتفسيراتها.**

ولقد ساهمت طبيعة النص اليهودي والمسيحي المقدس في إزكاء هذه النظرة وما تولد عنها من ازدواجية أخلاقية؛ فالنصوص المقدسة اليهودية والمسيحية ما هي إلا كتابات من وجهة نظر: حكماء وبسطاء، علماء وجهال، أمميين ويهود، وُدَعاء وعنف، صابرين ومتمردين، أغنياء وفقراء، فساق وأتقياء....الخ، فالكتاب المقدس لم يتكلم إلا على لسان هؤلاء(١٨٢)؛ ومن ثمة كانت ازدواجية الأخلاق الكتابية، ومن ثمة بدا الأمر في كثير من الأحيان وكأننا أمام وحيين يهوديين متقابلين، ووحيين مسيحيين متقابلين لإلهين مختلفين، أحدهما إله للمثالية الأخلاقية والآخر للعدوانية!:

---

(١٨٢) انظر: المزمور ٥٦: ٤– ٥. سفر إرمياء ٢٣: ٣٦. رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١٢ ،٤٠. رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٥: ٢٠. سبينوزا: رسالة فى اللاهوت والسياسة ص٣٣٤. وانظر: مدخل العهد الجديد، طبعة دار المشرق، ص ص٢٥: ٢٦. وانظر: الفاتيكان: البند ١٢من الفصل الثالث من دستور المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى: "الوحى الإلهى"، ص١٣٠. وانظر: بايه: أخلاق الإنجيل، ص ١٨٩.

فالتلمود الذي يحث على المسامحة الباطنية ويؤكد، هو التلمود الذي يعلل ذلك بخشية أن يصرف الرب غضبه عمن لا نسامحه، فأية مسامحة تلك التي تتم كي لا يسامح الله من نسامحه؟!

والعهد القديم يفعل فعلة التلمود، فيحث على المسامحة الباطنية كي لا يصرف الرب غضبه عمن نسامحة!

والعهد الجديد الذي يؤكد على الحلم والمسامحة، هو العهد الجديد الذي يقدس العهد القديم – بكل ما فيه من عدوانية تجاه الآخر– ويجعل من نفسه تتمة له(١٨٣).

ورغم أنه لا يوجد نص إسلامي عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ صحيح صريح يضاد اللين مع مخالف الدين بل العكس هو الصحيح؛ فالنصوص الإسلامية تلح على الالتزام باللين مع مخالف الدين كما تبين لنا في دراستنا هذه إلا أن هناك تيارات ليست بالضعيفة في الفكر الإسلامي ترفض هذا اللين بدرجة أو بأخرى:

ولعله من أهم الأخطاء العلمية التي وقع فيها أصحاب هذه التيارات ما يلي:

- **الخلط بين ما يضاد الحلم والمسامحة وبين ما قصد به النقد والزجر والقصاص.**
- **الخلط بين فقهين: فقه تدين الأفراد المبني على تقديم المسامحة على العدل إلا إن دعت الضرورة إلى غير ذلك، وفقه تدين الأمم المبني على تقديم العدل والزجر والقصاص على المسامحة إلا إن دعت الضرورة إلى غير ذلك.**
- **الأخذ بظاهر النصوص، وإغفال القواعد الأصولية في الفهم.**
- **الانطلاق من مسلمات غير مسلم بها عند غيرهم من العلماء.**
- **التمسك بخيارات لغوية دون شفيع، وفي اللغة متسع لغيرها.**
- **التعميم بلا مسوغ.**
- **القياس الفاسد.**
- **القول بالنسخ بلا مسوغ.**

---

(١٨٣) انظر: متى ٥: ١٧.

- **الفهم المتعارض مع سياق النص.**
- **النظرة غير الشاملة للنصوص.**
- **الخلط بين فضائل الأعمال والمعاملات: فالأولى يؤخذ فيها بالدليل الضعيف، والثانية لا يقبل فيها إلا الصحيح – إلا إن كان الضعيف غير معارض بنص صحيح صريح، وكان الموضع موضع احتياط، وكان الضعيف مندرجا تحت أصل معمول به في الشريعة– ولا شك أن الحث على اللين مع مخالف الدين هو من فضائل الأعمال؛ أما النهي عن اللين مع مخالف الدين فليس من فضائل الأعمال؛ وإنما هو من أحكام المعاملات. ولم يرد في نصوص الإسلام دليل تنطبق عليه الشرائط سابقة الذكر يمنع من اللين مع مخالف الدين.**
- **التخير من مواقف السلف وأقوالهم ما يشفع لآرائهم والسكوت عما لا يشفع؛ ثم زعم المتابعة لفهم السلف، والاحتجاج لتقليدهم بأن القدماء أقدر على فهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ حتى في مثل هذه الأمور المتعلقة بالمعاملات!!! ونسوا أو تناسوا الإطار السياسي والاجتماعي الذي صدرت فيه فتاوى القدماء، وبفرض تشابه الظروف، بل وتماثل الأحوال، فلا تلازم بين الفضل وعظم الشأن وبين جعل الواحد من السلف الكرام مشرّعا كالرسولﷺ وقد ختمت النبوة، وختمت العصمة؛ وما ورد من نصوص تأمر بالاقتداء ببعض الصحابة فتحمل على الاقتداء بهم في الفضل وفي اتباع الدليل، لا الفهم؛ يقول تعالى في ذلك:(١٨٤)"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ". فقال بهداهم ولم يقل بهم؛ فالعبرة ليست بالأشخاص؛ وذلك أن الفهم غير المعصوم لا يمكن أن يكون ممثلا للنص المعصوم(١٨٥). وهو ما يؤكد عليه النبي ﷺ في وصاياه لقادة**

---

(١٨٤) الأنعام: ٩٠.

(١٨٥) وأمام هذه الحقيقة: حصر بعض العلماء حجية قول الصحابي فيما اشتهر ولم يُعلم له مخالف (وهو ما اصطلحوا على تسميته بالإجماع السكوتي)، وهذا غير مُسلَّم أيضا فعدم العلم بوجود المخالف ليس علما بعدم وجوده.

وأمام هذه الحقيقة حصر بعض آخر من العلماء حجية قول الصحابي فيما لا يدرك بالرأي – كالغيبيات– ظنا منهم أن الصحابي في هذه الحالة لابد وأن يكون آخذا عن النبي ﷺ وحتى هذا غير مُسلَّم به =لجواز

السرايا الحربية بقوله: "إن حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك(١٨٦)؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"(١٨٧). بل إن السلف قد نهوا عن التسليم لفهمهم واعتبار اجتهادهم دينا ملزما؛ فعن ابن عباسﷺ قال:(١٨٨)"خذوا الحكمة ممن سمعتموها؛ فإنه قد يقول الحكم غير الحكيم، وتكون الرمية من غير رام". وعن مُعَاذ بن جبل ﷺ:(١٨٩)"أُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم؛ وقد يقول المنافق كلمة الحق". وعن علي ﷺ:(١٩٠)"إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله". وعن ابن عمر – رضي الله عنهما– رفعه: "خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت"(١٩١).

- **تتميز النصوص الإسلامية في موضوعنا هذا بوفرة غير معهودة في الكتب المقدسة الأخرى موضع الدراسة، كما امتازت بجهد فقهي غير مسبوق في تاريخ**

كون الصحابي حاكيا عما شاع في عصره، أو عما سمعه ممن لا نثق به، ورواية بعض الصحابة للإسرائيليات خير دليل على ذلك.

ونتفق مع من ذهب إلى حجية قول الصحابة إذا اشتهر الرأي ولم نعلم له مخالفا إذا كانت المسألة مما لا يمكن الاجتهاد فيه على وجهه إلا لهم، وهو ما احتاج في فهمه إلى قرائن لم يشاهدها إلا هم، وكذا ما احتاج إلى قوة في معرفة لغة العرب.

انظر في حجية قول الصحابي: الشاطبي: الموافقات ٣٠٢/٣، علي حسب الله: السابق، ص ص٧٥: ٧٨.

وعلى كل حال، لم يحدث إجماع سكوتي على رفض اللين مع مخالف الدين عند السلف، ولا علاقة لدراستنا بالغيبيات فموضوعنا في المعاملات.

(١٨٦) أي: أنزلهم على فهمك لحكم الله ورسوله الذي لا يحجر على غيره من الفهوم المقبولة لغة وشرعا، وليس المقصود حكمك الذي لا يتقيد بالنص إن وجد نص.

(١٨٧) رواه مسلم برقم ٢ من كتاب الجهاد، وأبو داود في الباب ٨٢ من كتاب الجهاد، وغيرهما. وجدير بالتنويه هنا أن المسلم لا يطبق النصوص القرآنية والنبوية وإنما يطبق فهمها غير المعصوم الذي فهمه العلماء الثقات.

(١٨٨) انظر: السخاوي: المقاصد الحسنة،١ /٣١٠.

(١٨٩) رواه أبو داود في الباب ٥ من كتاب السنة.

(١٩٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة.

(١٩١) ونحو هذا يروى من قول علي. انظر: السخاوي: السابق،١ /٣١١.

الأديان الأخرى[١٩٢]؛ فطول وقوفنا أمامها مقارنة بوقوفنا أمام نصوص الأديان الأخرى ليس تقصيرا في حق الثانية، وإنما اقتضت طبيعة الأمر ذلك.

- **إنه لمن الصعوبة بمكان الحديث عن ترتيب للأديان في درجات اللين مع مخالف الدين؛ وذلك لأن هذا الحديث يتطلب أمورا عديدة لا يمكن اعتبارها مجتمعة في المقارنة مثل:**
  - **عدد النصوص المعارضة لهذا اللين.**
  - **درجة صحة النصوص المعارضة.**
  - **مدى وجاهة توجيه النصوص المعارضة.**
  - **عدد النصوص المؤيدة اللين مع مخالف الدين[١٩٣].**
  - **درجة صحة النصوص المؤيدة.**
  - **درجة التأكيد في كل نص على اللين مع مخالف الدين.**
  - **درجة التأكيد في كل نص على أنه يشمل غير المؤمنين، فكثيرا ما يتم التأكيد على اللين دون تأكيد على شمولية ذلك لمخالف الملة.**
  - **نوع التأكيد، هل هو تأكيد نابع من الاهتمام بهذا الوجه، أم تأكيد نابع من إنكار المدعوبين له، بمعنى أن بعض الأديان قد يؤكد على اللين مع مخالف الدين بسبب معارضة المدعوبين، لا بسبب العناية باللين لأهمية خاصة يراها له، وقد لا تؤكد بعض الأديان على اللين لتحلي المدعوبين به أو لأنهم لا يعارضونه، ومن هنا لا يمكن اعتبار التأكيد أو عدمه ميزة لدين على دين.**

التوصيات:

---

(١٩٢) فالنص اليهودي والمسيحي المقدس المعاصر هو في حقيقته تفسير لنص مقدس مفقود، ومن ثمة لا تضيف تفسيرات هذه التفسيرات (شروح هذه النصوص المقدسة) في الغالب جديدا ذا بال، وكثيرا ما كانت متصنعة متكلفة، ومن ثم كانت استفادتنا منها - رغم حرصنا- ضئلة.

(١٩٣) وما يتعلق بالعدد والتعداد فمعرفته يسيرة، ولو اقتصر الأمر عليه لكان ترتيب الأديان في "اللين مع مخالف الدين " سهلا ؛ يقول ابن تيمية: "إن ذكر العدل في التوراة أكثر، وذكر الفضل في الإنجيل أكثر، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال". ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، فصل "من أدلة عموم رسالة النبي ﷺ" فصل "نقض دعواهم الاستغناء باليهودية والنصرانية" ٥/ ٥٩.

- **لقد اقتصرت معظم الدراسات العربية في علم مقارنة الأديان على الجانب العقدي، وأغفلت إلى حد كبير دراسة الشرائع الدينية دراسة مقارنة، وخاصة جانب الأخلاق والمعاملات، وهو الموضوع الأهم في رأيي، فهو يمثل الجانب العملي المؤثر على حياة المؤمنين من جهة، والأكثر قابلية للحكم الموضوعي من جهة أخرى؛ وربما يرجع ذلك لأن معظم المتخصصين في علم "مقارنة الأديان" ولجوا إليه من خلال تخصص عام هو الفلسفة، فانعكس اهتمام الفلسفة الزائد بالعقائد على هؤلاء، وكثيرا ما ينسى هؤلاء أن الأخلاق فرع من فروع الفلسفة. ومن مقامي هذا أوصي نفسي والباحثين بالاهتمام بدراسة هذا الجانب دراسة مقارنة.**
- **على كل صاحب قلم أو سلطة عدم الاقتصار على الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني؛ فالكل يحتاج إلى دعوة لتجديد خطابه: العلماني، واللبرالي، والشيوعي، والأمني، والعسكري...الخ من ألوان الخطاب؛ من أجل تعايش مثمر بناء.**
- **على الدارسين والمثقفين: تحري الحق في الكشف عن الوجه المشرق للأديان والحذر من الهرولة لسلب الأديان كل القيم النبيلة لنسبتها للمذاهب الإنسانية.**

أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه

د/ جمال الحسيني أبوفرحة

GAMALABUFARHA68@YAHOO.COM

أهم المصادر والمراجع[١٩٤]

➢ القرآن الكريم وكتب التفاسير:

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن... حققه محمود محمد شاكر، راجعه أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):

- الجامع لأحكام القرآن، د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):

- تفسير القرآن العظيم، د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، د.ت.

➢ كتب السنة النبوية وشروحها:

- أحمد بن حنبل:

- مسند أحمد بن حنبل، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

- الألباني (محمد ناصر الدين):

- سلسلة الأحاديث الصحيحة، د.ط، بيروت: منشورات المكتب الإسلامى، د.ت.

- السلسلة الضعيفة والموضوعة، على الموقع الإلكتروني التالي:
http://www.waqfeya.com/book.php?bid=505

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بزدزبة):

- صحيح الأدب المفرد، حقق أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، القاهرة: دار الصديق، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

- صحيح البخاري، د.ط، القاهرة: مطابع الشعب، د.ت.

- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء):

- شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، ط٢، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣.

(١٩٤) نظمت المصادر والمراجع فيما يلي حسب الترتيب الألفبائي للاسم الذي اشتهر به المؤلف مع صرف النظر عن (ابن، أبو، ال).

- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين):
- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة):
- سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٨م.
- الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله):
- المستدرك على الصحيحين، د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٨م.
- ابن حبان (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان)
- صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني).
- فتح الباري بشرح البخاري، د.ط، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٩م.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني):
- سنن أبي داود، تعليق أحمد سعد علي، ط١، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٢م.
- الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي):
- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسيني، د.ط، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ.
- المعجم الصغير، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٧م.
- المعجم الكبير، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، د.ط، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ.
- الغيتابى (أبو محمد محمود بن أحمد):
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- مالك بن أنس:

- الموطأ، تحقيق: محمد علوي المالكي، ط١، جدة: دار الشروق، ١٩٨٥م.

- مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):

- صحيح مسلم بشرح النووي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي، د.ت.

- الهيثمي (الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر):

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د.ط، القاهرة: مكتبة القدسي، د.ت.

➢ الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:

- التلمود:

  - التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، من سلسلة رسائل تلمودية (أ) ترجمة وتقديم نبيل فياض، ط١، دمشق: دار الغدير،١٩٩١م.
  - متن التلمود، المشنا، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط١، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٣م.

- الكتاب المقدس:

  - الكتاب المقدس، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤ (طبعة معتمدة من بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين).
  - الكتاب المقدس "كتاب الحياة" مطبوع مع التفسير التطبيقي للكتاب المقدس القاهرة: ط٣، شركة ماستر ميديا، ١٩٩٧م.
  - الكتاب المقدس على الموقع اللإلكتروني التالي:
    http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/search.php

➢ شروح الكتابات المقدسة في اليهودية والمسيحية:

- بارتون (الدكتور بروس) وآخرون:

- التفسير التطبيقى للكتاب المقدس، تعريب شركة ماستر ميديا، ط٣، القاهرة: ١٩٩٧م.

- فكري (القس أنطونيوس):

- شرح الكتاب المقدس، على الموقع الإلكتروني التالي:
  http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-Fekry

➢ مراجع متنوعة:

- ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي):

- السيرة النبوية، تحقيق:أحمد فريد المزيدي، ط١،بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.
- بايه (ألبير):
- أخلاق الإنجيل، دراسة سوسيولوجية، ترجمة: د. عادل العوا، ط١، دمشق: دار الحصاد، دار كنعان، ١٩٩٧م.
- بطرس عبد الملك (الدكتور) وآخرون:
- قاموس الكتاب المقدس، ط١٠، القاهرة: دار الثقافة، د.ت.
- البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى):
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية – دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ.
- ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم):
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون، د.ط، القاهرة– الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- منهاج السنة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٦م.
- سبينوزا:
- رسالة فى اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.
- السَّخاوي، (عبد الرحمن):
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، د.ط، القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت.
- السيد عبد الحكيم عبدالله:
- من أسرار العددين٣، ٧ في القرآن والسنة، ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٨٥م.
- الشاطبي (أبو إسحق إبراهيم بن موسى اللخمي):
- الموافقات في أصول الشريعة، عناية الشيخ إبراهيم رمضان، شرح الشيخ عبد الله دراز، ط٦، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م
- الشوكاني (محمد على بن محمد).

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٨م.

- ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري):

- علوم الحديث، د.ط، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):

- تاريخ الأمم والملوك، د.ط، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، د.ت.

- العزامي (د. خليل ملا خاطر):

- خطورة مساواة الحديث الصحيح بالموضوع، ط١،جدة:دار القبلة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

- على حسب الله.

- أصول التشريع الإسلامي، د.ط، القاهرة: دار المعارف، د.ت.

- الفاتيكان (المجمع الفاتيكانى الثانى):

- دستور"الوحى الإلهى"، تاريخ الإقرار ١٩٦٥/١١/١٨م. تاريخ النشر ١٩٦٥/١٢/٢٤، نقله عن اللاتينية إلى العربية الأب: يوسف الكلاس البولسى، ضمن كتاب (المجمع الفاتيكانى الثانى: دساتير، قرارات، بيانات) الذى أشرف على ترجمته وقام بالقسم الأكبر منها الأب: حنا الفاخورى، معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، ط١، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٢م.

- أبوفرحة (د. جمال الحسيني):

- الحوار مع الآخر: مفهومه وأهم أصوله وآدابه وأخطائه، ط٢، المدينة المنورة: دار الزمان، عام ٢٠١٣م.

- ميزان النبوة: المعجزة، ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٨م.

- قوجمان (ي):

- قاموس عبري عربي، د.ط، بيروت: دار الجيل، عمّان: مكتبة المحتسب، ١٩٧٠م.

- ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر):

- زاد المعاد في هدي خير العباد: ط٢٧ بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.

- كانت (عم نوئيل):

- مشروع للسلام الدائم، ترجمة:د.عثمان أمين، ط١،القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية،د.ت.

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي):

- البداية والنهاية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٥م.

- محمد زكي إبراهيم:

- وظيفة الحديث الضعيف في الإسلام وأقوال كبار أئمة السلف والخلف فيه، ط٤، القاهرة: مطبوعات العشيرة المحمدية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

- ابن منظور (محمد بن مُكَرَّم بن علي المصري):

- لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر، د. ت.

- أبو نعيم (الحافظ):

- حلية الأولياء، ط١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٧١م.

- ابن هشام:

- السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري عبد الحفيظ شلبي، د.ط، القاهرة: ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، د.ت.

- اليسوعي (الأب فاضل سيداروس اليسوعي وآخرون):

- معجم اللاهوت الكتابي، ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م.